

هل من تناقض بين الآيات القرآنية بخصوص صلب المسيح

بقلم
القمص زكريا بطرس

الفهرس

مقدمة السلسلة:

مدخل:

الباب الأول: بين سورة النساء وبقيّة آيات الصلب

الفصل الأول: الادعاء بنفي قتل المسيح وصلبه

الفصل الثاني: الادعاء بتكذيب شائعة صلب المسيح

الفصل الثالث: الادعاء بنسخ الآية لبقيّة الآيات

الباب الثاني: التفسير السليم لآية النساء

الفصل الأول: الجانب اللغوي

الفصل الثاني: الجانب الموضوعي

الفصل الثالث: الجانب البلاغي

الفصل الرابع: الجانب المنطقي

الخاتمة:

هذه السلسلة

انتشرت في الأسواق كتب الشيخ أحمد ديدات الداعية الإسلامي. وكان قد تقابل مع بعض رعاة الكنائس في أمريكا وأوروبا وحاورهم عن المسيحية والإسلام ونشرت هذه المحاورات في كتب وأشرطة كاسيت وأشرطة فيديو، وعملت لها دعاية عالمية في كل الأقطار. ويستخدمها المتعصبون والمتطرفون في إحراج المسيحيين البسطاء، الذين لا دراية لهم بالفكر اللاهوتي أو الجدل العقدي. وقد لجأ إلينا الكثير من أبنائنا للاستفسار والرد على هذه التهجمات على معتقداتنا المسيحية، الأمر الذي اضطرني للكتابة والرد على فضيلته، موضحا الحق خالصا الذي غاب عن فكره.

وقبل أن نستمرسل في الرد نريد أن نوضح منذ البداية دوافعنا لنشر هذه الكتب والردود. وأيضا أهدافنا التي نصبو إليها، ثم أسلوبنا في الكلام.

أولا: دوافعنا:

دوافعنا هي:

- ١- **المحبة القلبية لله:** كما يقول الكتاب المقدس: **"تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك"** (مر ١٢ : ٣٠)
- ٢- **المحبة لجميع الناس:** **"تحب قريبك كنفسك"** (مت ٢٢ : ٣٩)

ثانيا: أهدافنا:

- ١- **تمجيد اسم الله القدوس كما هو مكتوب:** **"فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئا فافعلوا كل شيء لمجد الله"** (١كو ١٠ : ٣١)
- ٢- **خير كل النفوس "فلنعمل الخير للجميع"** (غل ٦ : ١٠)

ثالثاً: أسلوبنا:

- ١- احترام حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرية الفرد فيما يفكر وفيما يعتقد وفيما يعتنق.
- ٢- نحن على استعداد للرد على من يسألنا، عملاً بقول الكتاب المقدس: "مستعدين دائماً لمجابهة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف" (١بط ٣: ١٥)
- ٣- نحن حريصون على التحفظ من المناقشات السوفسطائية، أو المجادلات العقيمة، فالكتاب المقدس يحذرننا من ذلك قائلاً: "المباحثات الغبية والسخيفة اجتنبها عالماً أنها تولد خصومات، وعبد الرب لا يجب أن يخاصم..." (٢تي ٢: ٢٣ و٢٤)
- ٤- عندما نرد على أي اتهام، ونشرح إيماننا، فإن ذلك لا يعني قط أننا نحقر عقائد الآخرين، أو نجرح مشاعرهم، بل نحن حريصون كل الحرص على أدب المناقشة، وخلق الحوار، بكل احترام ولياقة.
- ٥- نحن بروح المحبة والتفاهم نبحث عن أرضية مشتركة ونقاط الاتفاق فيما بيننا، ولسنا من هواة تصيد ما نظن من وجهة نظرنا أنها أخطاء، لأننا نعلم أن هناك تفاسير من وجهة نظر الطرف الآخر مقنعة له، وإن كانت ليست بالضرورة مقنعة لنا. والعكس صحيح.
- ٦- إذن فنحن نرد ونعبر عن وجهة نظرنا بالمنطق الذي نؤمن به، فإن وافقت القارئ كان بها، وإن لم توافقه فليلقها عنه، بعد أن يكون قد عرف وجهة نظرنا. وننتهي جميعاً إلى المحبة التي لا نساوم عليها ولا نضحى بها، فقيمة الإنسان "كل إنسان" عندنا هي قيمة عظيمة، إذ هو خليفة الله ومحبوب منه. ونحن إذ نحب الله نحب كل من يحبهم الله ويحبونه.
- ٧- نحن حريصون على عدم توجيه الكلام الجارح والشتائم التي لا تليق، فنحن بعيديون كل البعد عن ذلك، ولا نرضى به. فإننا بالمنطق الهادئ نتكلم ليوم لنا السلام والمحبة.
- ٩- ولكي نحقق ذلك الهدف ونتحاشى المصادمات، فلنستبعد من حساباتنا فكرة: "الغالب والمغلوب" أي من هو الغالب ومن هو المغلوب، ومن سيكسب المناقشة، وكأننا في معركة شرف. لهذا ينبغي أن نميز بين المناقشات الموضوعية ولا نحولها إلى مواقف شخصية. [OBJECTIVE NOT SUBJECTIVE]
- ١٠- نحن نحرص على أن لا تكون ردودنا سطحية، بل هي نتيجة دراسة وافية متعمقة، حتى نكون راضيين عن أنفسنا بأننا نقدم الحق كاملاً غير منقوص، ونرجو أن تكون الردود مرضية أيضاً للسائل المخلص الذي يريد أن يعرف الحق خالصاً.

المؤلف

مدخل

الرد على الشيخ ديدات

مع من أدار الشيخ ديدات الحوارات؟

بكل أسف شديد لقد ذهب الشيخ ديدات إلى أناس من أمريكا ومن أوروبا وتخير الأشخاص الذين لا يعرفون شيئاً عن الدين الإسلامي وبالتالي لا يعرفون شيئاً عن حوار الأديان وخاصة بين المسيحية والإسلام. فجاءت حواراته كأنها من جانب واحد.

تماماً مثلما ينازل مصارع محترف إنساناً بريئاً لا يدري شيئاً عن هذه اللعبة. أفلا تكون المباراة من جانب واحد؟ وهل بعد المباراة يتباهى المصارع المحترف بهزيمة البريء الذي نازله الصراع؟

لماذا لم يفكر الشيخ ديدات بأن يدير حواراته مع أحد المسيحيين المختصين بالأديان المقارنة من أبناء الشرق الأوسط وخاصة مصر العريقة؟

الرد على الموضوعات التي أثارها الشيخ ديدات:

لقد أثار الشيخ ديدات العديد من الموضوعات بخصوص إيماننا في:

- ١- الله الواحد مثلث الأقانيم.
 - ٢- تجسد المسيح ابن الله.
 - ٣- صلب المسيح وحتمية الفداء.
 - ٤- صحة الكتاب المقدس وعدم تحريفه.
 - ٥- سفر حزقيال إصحاح ٢٣، عن أهولة وأهوليبة.
 - ٦- سفر نشيد الأناشيد.
 - ٧- تحليل الخمر.
 - ٨- المفارقة بين عدد شعب إسرائيل.
 - ٩- المفارقة بين عدد شعب يهوذا.
 - ١٠- المفارقة بين عدد سنوات الجوع في صموئيل الثاني، وأخبار أيام الأول.
 - ١١- واعتراضه على صلب المسيح بقوله: "وما صلبه ولكن شبه لهم، وما قتلوه يقيناً ولكن رفعه الله".
- وقد أصدرنا عدة كتب للرد على هذه الموضوعات.
- وستجد في هذا الكتاب مزيداً من الإيضاحات عن صلب المسيح من واقع الآيات القرآنية التي تشهد عن ذلك.

وسيشمل حديثنا المواضيع التالية:

- ١- التناقض بين سورة النساء وغيرها من الآيات القرآنية.
- ٢- التفسير السليم لسورة النساء.

الباب الأول

التناقض بين سورة النساء

وغيرها من آيات القرآن الكريم

فقد ورد في "سورة النساء آية ١٥٧" وقولهم (يقصد اليهود) إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما صلبوه ولكن شبه لهم... [إلى قوله] وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما

الواقع أن هذه الآية تتعارض مع بقية الآيات الأخرى التي تكلمت عن موت المسيح منها:

١- سورة آل عمران (٥٥): "مكروا (أي اليهود) ومكر الله والله خير الماكرين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة". فمن هذه الآية يتضح أن المسيح قد توفي قبل أن يرفع للسماء.

٢- سورة مريم (٣٣): "والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا" ومن هذه الآية يتضح أن المسيح مات قبل أن يبعث حيا.

٣- سورة المائدة (١١٧): "فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد" من هذا أيضا يتضح أن المسيح توفي على أيدي اليهود وكان الله رقيباً عليهم. ماذا يقول المفسرون بخصوص هذا التعارض؟ الواقع أن المفسرين لهم عدة آراء مختلفة نود بعضها منها فيما يلي:

الفصل الأول

الرأي بأن هذه الآية تنفي قتل المسيح وصلبه

هذا هو الرأي الأول: وهو أن هذه الآية تنفي قتل المسيح وصلبه. وللدرد على هذا الرأي إضافة إلى ما ذكرناه في لقاءتنا السابقة نقول:

أولاً:

رغم أن هذه الآية في ظاهرها تنفي قتل المسيح وصلبه ولكنها لم تنف موتَه، فلم تقل الآية عن المسيح "ما أماتوه" بل "ما صلبوه" ولم تقل "وما أماتوه يقينا" بل "وما قتلوه يقينا" أما سورة آل عمران فنقول "إني متوفيك" وسورة مريم تقول "يوم أموت" وسورة المائدة تقول "ولما توفيتني" فهذه الآيات مجتمعة تؤكد وفاته أو موته. كما ثبت ذلك من تفسير الرازي والسيوطي وغيرهما الذين فسروا الوفاة أنها الموت (انظر تفسير الرازي جزء ٢ ص ٤٥٧ / وكتاب الإتيان جزء ١ ص ١١٦)

ثانياً:

والواقع أنه سواء صلب المسيح وقتل أو مجرد مات، فالحقيقة واحدة في جوهرها أن المسيح مات عن خطايانا كما يقول الكتاب المقدس (١كو ١٥: ٣)، فليست القضية في التعبير بل في جوهر الموضوع ذاته.

ثالثاً:

علما بأن قتل النبيين بغير حق هو خطية اليهود الشنعاء بحسب شهادة القرآن الكريم نفسه في:

سورة البقرة (٦١) "... كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق"
إذن الآية (١٥٧) من سورة النساء وإن كانت في ظاهرها تنفي القتل والصلب ولكنه لم تنف موت المسيح الذي شهدت به آيات: سورة آل عمران وسورة مريم وسورة المائدة.

كما أن هناك فريق آخر من المفسرين لهم رأي آخر هو:

الفصل الثاني

الرأي بأن آية سورة النساء (١٥٧)

تكذب ما أشاعه اليهود بأنهم قتلوا المسيح

نقول لهؤلاء العلماء الأفاضل أن موت المسيح ليس كذبة أشاعها اليهود حتى يكذبها القرآن الكريم، بل على العكس فإنه يشهد أن اليهود هم قتلة الأنبياء كما في:

أولاً: سورة آل عمران (١١٢) "... ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ..."
وربما كان قصد القرآن الكريم أن ينفي القضاء على المسيح بقتلهم إياه إذ يقول في:

ثانياً: سورة آل عمران (١٦٩) "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل هم أحياء عند ربهم يرزقون"
إذن فالآية الكريمة لا تكذب ما أشاعه اليهود بأنهم قتلوا المسيح، بل تنفي فكرة أنهم قضوا عليه "وما قتلوه يقيناً". والدليل على ذلك أن الآية الكريمة لم تتضمن النصارى مع اليهود في نصها، وكذلك لم ترد بالقرآن الكريم أية آية تنفي ما يقوله المسيحيين عن أن المسيح قد صلب فعلاً.

بقي رأي آخر لجماعة من علماء المسلمين يقولون:

الفصل الثالث

الرأي بأن آية النساء هذه

تنسخ بقية آيات وفاة المسيح

ومعنى كلمة تنسخ أي تلغي. فكأن آية سورة النساء بحسب رأيهم قد ألغت الآيات الأخرى الخاصة بوفاة المسيح أو موته.

وللرد على هذا الرأي نقول:

أولا: بصرف النظر عن أن مبدأ الناسخ والمنسوخ غير موجود في المسيحية ولكنه مبدأ مقبول في القرآن الكريم بحسب ما جاء في:

سورة البقرة (١٠٦): "وما ننسخ من آية أو ننسها، نأتي بأحسن منها أو مثلها"
ولكن دعنا نعلق على كلام هذه الآية:

١- يندهش البعض كيف أن الله يغير كلامه؟ علما بأن هناك آيات قرآنية أخرى تقول "لا تبدل لكلمات الله" (سورة يونس ٦٤)، وأيضا "لا تبدل لكلمات الله" (سورة الأنعام ٣٤).

٢- وآخرون قالوا كيف أن الله يجعل الرسول ينسى كلامه؟ وهو الأولى بأن يحفظه في صدره، فقد جاء في:

سورة العنكبوت (٤٩) "بل هو آياتٌ بيناتٌ في صدور الذين أُوتوا العلم" فكم يكون في صدر الرسول!!!

٣- وقال آخرون كيف يمكن لكلام الله أن ينسخ أو يتغير وهو مكتوب في لوح محفوظ؟ كما جاء في: سورة البروج (٢٢) "بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ"

٤- ثم كيف يأتي الله بأحسن منها؟ هل عند الله كلام حسن وكلام غير حسن، حتى تكون هناك مفاضلة بين حسن وأحسن؟

ما علينا من كل هذا الكلام فليس هذا موضوع بحثنا، ولكن ما أريد أن أوضحه هو:

ثانيا: أن مبدأ الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لا يقع إلا في الأحكام التشريعية فقط، وليس على الأخبار التاريخية، فلا يستطيع أحد أن يلغي أحداث التاريخ الثابتة. فبحسب الآيات القرآنية الأخرى يتضح أن المسيح قد مات فعلا قبل أن يرتفع إلى السماء، كما هو واضح من:

١- سورة آل عمران (٥٥): "مكروا (أي اليهود) ومكر الله والله خير الماكرين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة". فمن هذه الآية يتضح أن المسيح قد توفي قبل أن يرفع للسماء.

٢- سورة مريم (٣٣): "والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا" ومن هذه الآية يتضح أن المسيح مات قبل أن يبعث حيا.

٣- سورة المائدة (١١٧): "فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد" من هذا أيضا يتضح أن المسيح توفي على أيدي اليهود وكان الله رقيبا عليهم.

ثالثا: ثم إن مبدأ الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم يفيد أن الآيات التي تأتي في الآخر تلغي الآيات السابقة لها، وليس العكس أي لا يصح أن الآيات القديمة تلغي الآيات التي أتت بعدها.

ولو نظرنا إلى سورة النساء التي تقول (وما صلبوه وما قتلوه) نجد أنها قد أتت [سنة ٣ هجرية] أي قبل سورة المائدة [التي أتت سنة ١٠ هجرية] (انظر تفسير القرآن للشيخ عبد الله يوسف علي بالإنجليزية ص ١٢٥ و ٢٤٢) التي تقول "فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد" فبحسب مبدأ الناسخ والمنسوخ فإن الآية الواردة في سورة المائدة بخصوص موت المسيح تلغي الآية الواردة في سورة النساء، وبهذا يتأكد موت المسيح ويلغى أي لبس بخصوص هذا الأمر.

كان هذا بخصوص الرد على الرأي القائل بأن آية سورة النساء وما صلبوه، وما قتلوه قد نسخت آيات الوفاة آل عمران ومريم، والمائدة.

ونأت الآن إلى بيت القصيد وهو:

الباب الثاني

التفسير السليم لآية سورة النساء (١٥٧)

ما هو التفسير السليم لهذه الآية القرآنية من سورة النساء (آية ١٥٧) بخصوص قتل المسيح من عدمه؟:

"سورة النساء آية ١٥٧" وقولهم (يقصد اليهود) إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما صلبوه ولكن شبه لهم... [إلى قوله] وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما" وهل هناك فعلا تعارض بينها وبين بقية الآيات الدالة على موت المسيح؟

وللرد على ذلك نقول

أولاً: لا يُقبل أن يكون في القرآن الكريم تعارض، ولهذا جاء في سورة النساء (٨١) "... ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا". ولكن التعارض هو في تفسير المفسرين الذين يفسرون الآيات بحسب وجهات نظرهم التي كثيرا ما تتباين وتختلف بعضها عن بعض.

ثانياً: إذن ينبغي أن نتفهم القرآن جيدا، كما يأمر القرآن نفسه بذلك إذ يقول في سورة النساء (٨١) "أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا"، ونفس هذا الكلام جاء أيضا في مواضع أخرى فارجع إلى سورة محمد (٢٤)، وسورة المؤمنون (٦٨)، وسورة ص (٢٩).

ثالثاً: ولكي نتفهم هذه الآية الكريمة ونتدبرها جيدا علينا أن نناقشها من عدة جوانب لندرك معناها ومقاصدها جيدا. والواقع أن هناك أربعة جوانب نستطيع من خلالها أن نبلغ مقصدنا:

الفصل الأول

الجانب الأول: هو الجانب اللغوي

من الناحية اللغوية يفهم معنى شبه لهم الواردة بآية النساء (١٥٧) بمفهوم أنه قد ظنوا أنهم قتلوه وصلبوه وتخلصوا منه ومن رسالته إلى الأبد. وليس بمعنى أن الله قد ألقى شبهه على إنسان آخر كما سبق أن أوضحنا في لقاءنا السابقة. هذا ما أكدته كل من:

(١) الإمام الزمخشري: الذي قال في تفسيره الشهير: (ما معنى قول القرآن "شبه لهم"؟ [شبه] مسند إلى ماذا؟ [أي يرجع إلى ماذا؟])

١- إن جعلته مسند إلى المسيح؟ [أي إن رجعت الكلمة على المسيح؟] فالمسيح مشبه به وليس مشبهه، (بمعنى آخر إن كانت الكلمة "شبه" تعود على المسيح فيكون السؤال هنا: بمن شبه المسيح؟؟ أي شبه من وقع على المسيح؟؟ وبالتأكيد القرآن لا يريد أن يقول ذلك، بل يريد المفسرون الآخرون أن يقولوا عكس هذا المعنى وهو أن شبه المسيح هو الذي وقع على شخص آخر. فهل هذا صحيح في التركيب اللغوي لعبارة "شبه لهم" دعنا نصغي إلى ما قاله الزمخشري بخصوص ذلك) قال:

٢- وإن أسندته إلى المقتول. [أي إن جعلت عبارة "شبه لهم" تعود على الشخص الذي قُتل بدل المسيح وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين وهذا ما أكدته الزمخشري بقوله]: لقد زعموا [أي زعم بعض المفسرين] أن اليهود قتلوا رجلا آخر شبيها بعيسى. [ويكمل الزمخشري قائلا]: فالمقتول لم يجر له ذكر [أي لم يسبق ذكره في الآية الكريمة].

وخلص الإمام الزمخشري من ذلك إلى حقيقة هامة جدا أوضحت المعنى الحقيقي من الآية الكريمة، ونفت أن يكون في القرآن اختلاف أو تناقض إذ قال: عبارة "شبه" مسند إلى الجار والمجرور أي مسند إلى "لهم" كقولك "خيل لهم" (...)

هذا هو التركيب اللغوي للآية الكريمة. ونعرض أيضا قول:

(٢) الإمام الرازي: الذي علق على رأي المفسرين أصحاب فكرة أ، شبه المسيح ألقى على شخص آخر فقال: في إلقاء شبهه على الغير إشكالات:

الإشكال الأول: أنه إن جاز أن يقال أن الله تعالى يلقي شبه إنسان على إنسان آخر، فهذا يفتح باب السفسطة، وأيضا يفضي إلى القدح في التواتر (أي في المسلمات) ففتح هذا الباب أوله سفسطة وآخره إبطال النبوات بالكلية. **والإشكال الثاني:** أن الله أيده بروح القدس، جبريل، فهل عجز هنا عن تأييده؟ وهو الذي كان قادرا على إحياء الموتى، فهل عجز عن حماية نفسه؟

الإشكال الثالث: أنه تعالى كان قادرا على تخليصه برفعه إلى السماء، فما الفائدة بإلقاء شبهه على غيره؟ وهل فيه إلا إلقاء مسكين في القتل من غير فائدة إليه؟

الإشكال الرابع: بإلقاء الشبه على غيره اعتقدوا (أي اليهود) أن هذا الغير هو عيسى، مع أنه ما كان عيسى، فهذا كان إلقاء لهم في الجهل والتلبيس (التمويه) وهذا لا يليق بحكمة الله.

الإشكال الخامس: أن النصاري واليهود على كثرتهم في مشارق الأرض ومغاربها وشدة محبتهم للمسيح (وبغضة اليهود له) وغلوهم في أمره شاهدهوه مقتولا ومصلوبا، فلو أنكرنا ذلك، كان طعنا فيما ثبت بالتواتر، والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوة محمد وعيسى وسائر الأنبياء.

والإشكال السادس: ألا يقدر المشبه به أن يدافع عن نفسه أنه ليس بعيسى؟ ولو ذكر ذلك لاشتهر عند الخلف هذا المعنى. فلما لم يوجد شيء من ذلك علمنا أن الأمر ليس على ما ذكر أولئك المفسرون.

هذا تحليل لنص الآية القرآنية بقلم إمامين عظيمين من أئمة تفسير القرآن الكريم. والنتيجة التي خلصوا إليها هي أن عبارة شبه لهم لا تعني أن شبه المسيح وقع على شخص آخر صلب بدل المسيح، بل أنه شبه لليهود أو خيل إليهم أنهم قضوا على المسيح نهائيا والواقع أنه بعدما مات على الصليب رفع إلى السماء وهو حي باق إلى الأبد.

كان هذا عن الجانب الأول لفهم الآية وهو الجانب اللغوي. ونأتي إلى الجانب الثاني وهو:

الفصل الثاني

والجانب الثاني: هو الجانب الموضوعي

ونقصد بالجانب الموضوعي هو: ما هو الموضوع الذي تريد هذه الآية أن تبرزه وتؤكد؟ هل أرادت هذه الآية الكريمة إنكار الموت والصلب؟ أم أنها أرادت أن تنفي تبجح اليهود وتباهيهم بأنهم قضوا على المسيح وجعلوه معدوما تماما؟

بمقابلة آية سورة النساء التي تقول "وما قتلوه يقينا" مع سورة آل عمران (٥٥و٥٤) التي تقول "مكروا (أي اليهود)" ومكر الله والله خير الماكرين، يا عيسى ابن مريم إني متوفيك ورافعك إلي وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة" نرى ما يلي:

أولاً: أن اليهود قد مكروا لقتل المسيح والقضاء عليه تماما.

ثانياً: أن الله أعظم منهم مكرا، فبعد أن قتلوه رفعه إليه.

ثالثاً: إذن لا تعارض بين الآيتين فسورة النساء لا تنفي القتل بل تنفي القضاء على المسيح نهائيا الأمر الذي تؤكد سورة آل عمران بأن الله رفعه إليه ليكون حيا خالدا في الآخرة. ورفع المسيح إلى الله يتحقق قول سورة النساء أنهم لم يقتلوه يقينا، ولكنه خيل لهم ذلك، وهو ضرب من الظنون، وليس اليقين.

كان هذا عن الجانب الموضوعي، ونأتي إلى جانب آخر وهو:

الفصل الثالث

والجانب الثالث: هو جانب علم البلاغة والبيان

وعلم البلاغة في اللغة هو ببساطة: حسن البيان وقوة التأثير ومطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته. وعلم البيان في اللغة هو أيضا ببساطة: المنطق الفصيح وإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة من تشبيه ومجاز وكناية. (المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية الجزء الأول ص ٧٠ و ٨٠)

وكلنا يعلم أن القرآن هو كتاب البلاغة والبيان والفصاحة. ولهذا جاءت تعبيراته فوق مستوى الجهلاء وأنصاف المتعلمين. ولا يمكن فهم معانيه فهما جيدا إن لم يكن الإنسان ملما بمبادئ البلاغة والبيان والفصاحة. فدعنا إذن نفحص آية سورة النساء من هذا الجانب البياني البلاغي الفصيح.

أولاً: هناك قاعدة بلاغية تقول: أن في أسلوب المقابلة بين أمرين، يأتي أحدهما مسبقا بأداة النفي (لا النافية) ليس لتنفي حدوث هذا الأمر، بل لتظهر عظمة الأمر الآخر. ولنعط لذلك بعض الأمثلة ثم نطبقها على آية النساء الكريمة.

ثانياً: (سفر التكوين ٤٥ : ٨) يقول يوسف الصديق لأخوته "ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا، بل الله" فهذا التعبير البلاغي لا يقصد أن ينكر أن إخوته باعوه إلى التجار الذين أتوا به إلى مصر، بل أراد أن يعظم عمل الله وخطته الحكيمة.

ثالثاً: (هوشع ٩: ١٣) "إني أريد رحمة لا ذبيحة". فهل معنى هذا أن الله يلغي الذبيحة وهي قوام العبادة؟ كلا وإنما هو يعظم الرحمة مع إثبات الذبيحة. تطبيقاً على ذلك نقول أن آية النساء في مقارنتها بين القتل وبين رفع المسيح حياً في قولها "وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه"، فيعظم رفع المسيح حياً ولا ينفي فعل القتل. هذا هو الأسلوب البلاغي الفصيح.

رابعاً: كما أن هناك قاعدة بلاغية أخرى توضح الإثبات في صيغة النفي، تماماً مثل أسلوب المدح في قالب ذم أو الذم في قالب مدح الذي نعرفه جيداً. فالآية تقول "وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه" فالقرآن بهذا الأسلوب البلاغي يرد على تبجح اليهود بأنهم قضوا على المسيح تماماً بأنه يؤكد لهم أنه بعدما مكروا هم بقتله مكر الله برفعه إليه فهو تأكيد لرفعه بعد أن قتلوه. أخيراً نأتي إلى

الفصل الرابع

والجانب الرابع: هو الجانب المنطقي في التفسير

وفي تناولنا لهذا الجانب نوضح ما يلي:

أولاً: وردت بالقرآن الكريم أربع آيات عن موت المسيح منها آية واحدة يقول البعض أنها تنفي موت المسيح، ويقومون بتفسير الآيات الأخرى على تفسيرهم لهذه الآية الواحدة

ثانياً: والواقع أن هناك قاعدة منطقية تقول لا يمكن تفسير الكل على أساس الجزء، بل على العكس يلزم تفسير الجزء على أساس الكل. **ثالثاً:** لهذا وجب أن تفسر آية النساء على أساس إجماع الآيات الأخرى في سورة مريم وآل عمران والمائدة التي توضح موت المسيح ورفعه إلى الله بعدها.

ختاماً

دعنا نلخص ما قلناه بخصوص ما يدعيه البعض من وجود تناقض بين سورة النساء وبقيّة السور القرآنية التي تحدثت عن موت المسيح في نقاط مختصرة فقد رأينا:

(١) أن سورة النساء لم تنف موت المسيح.
(٢) أن هذه الآية نفت إشاعة اليهود بأنهم قضوا على المسيح تماماً ولكنهم واهمون فقد رفعه الله إليه وهو حي خالد

(٣) هذه الآية لم تنسخ الآيات التي تحدثت عن موته، وإنما إن أخذنا بمبدأ النسخ فتكون آية المائدة التي تتحدث عن موت المسيح هي التي نسخت الآية في سورة النساء لأنها أتت بعدها بسبع سنوات
(٤) أن التفسير الصحيح لهذه الآية لغوياً، وموضوعياً، وبلاغياً، ومنطقياً ثبت حقيقة صلب المسيح وموته ورفعه إلى الله.